وظائف الحوار

الباحثة/ وئام محمد نصر الدين محمود
إشراف
الأستاذ الدكتور/ شهير أحمد دكروري

الملخص:

يتناول " وظائف الحوار" في الدراسات السردية الحديثة، حيث يتم تحليل الشخصيات القصصية ودورها في الرواية. يُشار إلى أن الشخصيات لم تعد تُعتبر كائنات حية، بل أصبحت مجرد قضايا لغوية، مما يبرز دورها كوظائف محددة في بناء القصة. وفقًا للناقد فلاديمير بروب، تُعرّف وظيفة الشخصية بأنها ما تقوم به من أفعال تؤثر في سير الحبكة، حيث تم استخراج عدد من الوظائف من خلال دراسة حكايات روسية قديمة.

تتضمن الوظائف التي حددها بروب مجموعة متنوعة من الأفعال مثل الابتعاد، الحظر، الاستخبار، والمعركة. كما تم تقسيم هذه الوظائف إلى حقول عمل، حيث يساهم كل حقل في تطور الحبكة من خلال العلاقات المتشابكة بين الشخصيات. يُعتبر تحديد هذه الوظائف أمرًا مهمًا لفهم كيفية تأثير الشخصيات على الأحداث وكيف تُحدد العلاقات بينها.

كما يوضح غريماس أن الشخصية تُحدد من خلال أفعالها داخل القصة، مما يعكس أهمية الدور الذي تلعبه الشخصيات في تشكيل الحبكة. بالتالي، فإن الشخصيات ليست مجرد كيانات بل هي وظائف حيوية تسهم في سرد القصة وتطويرها.

الكلمات المفتاحية في النص تتعلق بمفهوم "وظائف الشخصيات" في السرد الأدبي، وتشتمل على النقاط الرئيسية التالية:

وظائف الشخصيات: تشير إلى الأفعال التي تقوم بها الشخصيات وتأثيرها على الحبكة.

فلاديمير بروب: الناقد الذي حدد ٣١ وظيفة للشخصيات من خلال دراسة الحكايات الروسية.

الأفعال الأساسية: مثل الابتعاد، الحظر، الاستخبار، والمعركة، التي تلعب دورًا في تطور الأحداث.

دراسة السرد: التركيز على كيفية بناء الحبكة من خلال العلاقات المتشابكة بين الشخصيات.

التحليل السردي: كيف تُعتبر الشخصيات كقضايا لغوية تعكس الأدوار والوظائف في النصوص السردية.

التغيير والثبات: التمييز بين الوظائف الثابتة للشخصيات والأسماء والأوصاف التي قد تتغير.
التفاعلات بين الشخصيات: كيفية تأثير العلاقات بين الشخصيات على تطور الحبكة.

Abstract :

This study addresses "the functions of dialogue" in modern narrative studies, focusing on the analysis of fictional characters and their roles in storytelling. Characters are no longer viewed as living beings but rather as linguistic constructs, emphasizing their roles as defined functions within the narrative structure. According to critic Vladimir Propp, the function of a character is defined by the actions it performs that influence the plot. Propp identified a set of functions through his study of ancient Russian folktales .

The functions identified by Propp include a variety of actions such as departure, prohibition, interrogation, and battle. These functions are organized into fields of action, with each field contributing to the development of the plot through the interwoven relationships between characters. Identifying these functions is crucial for understanding how characters influence events and how their interactions shape the narrative .

Similarly, Greimas explains that a character is defined by its actions within the story, highlighting the importance of its role in constructing the plot. Consequently, characters are not merely entities but serve as vital functions that drive and develop the narrative .

Keywords :

-Character Functions: Actions performed by characters and their impact on the plot .

-Vladimir Propp: A critic who identified ٣١ character functions through his analysis of Russian folktales .

-Core Actions: Actions such as departure, prohibition, interrogation, and battle, which play a role in plot development .

-Narrative Studies: Examining how the plot is constructed through the interconnected relationships between characters .

-Narrative Analysis: Viewing characters as linguistic constructs reflecting roles and functions in narrative texts .

-Change and Stability: Distinguishing between stable functions of characters and their variable names or descriptions .

-Character Interactions: Exploring how relationships between characters affect plot progression .

مقدمة:

تطورت دراسة الشخصيات القصصية في الدراسات السردية الحديثة ، فلم تعد الشخصية كائناً حيًا بل أصبحت كائناً ورقيًا ، وغدت الشخصية مجرد قضية لسانية على حد وصف أحد النقاد الغربيين . فالشخصية أصبحت دورا ووظيفة في الرواية والقصة القصيرة . وهذه الوظائف تقوم على دراسة الحكاية والقصة اعتمادًا على بنائها الداخلي ، وذلك من خلال العلاقات المتشابكة بين الشخصيات الروائية المختلفة .

وعرف الناقد فلاديمير بروب [١] وظيفة الشخصية بأنها « ما تقوم به الشخصيات من فعل محدد من منظور دلالته على سير الحبكة » [٢] . فالوظيفة تتمثل في الأحداث التي تنجزها الشخصيات داخل المتن الروائي ، وهذه الأحداث تعمل على تطور الحبكة القصصية .

كما تعرف الوظيفة بأنها « العنصر الثابت الذي يستخرج من أحداث متماثلة ومن القائمين بهذه الأحداث الذين هم أشخاص القصة » [٣] . فالوظيفة هي العناصر الثابتة التي لا تتغير في القصة أو الرواية ، أما الذي يتغير فهو أسماء الشخصيات وأوصافها . وقد استنبط بروب من مائة حكاية روسية قديمة إحدى وثلاثين وظيفة للشخصية ، وأصبحت هذه الوظائف من بعده منهجا للدارسين ، وهذه الوظائف لا تحضر كلها في القصة الواحدة ، ولكن أية رواية أو قصة لابد أن تحتوي على عدد من هذه الوظائف التي حددها الناقد الروسي فلاديمير بروب .

وهذه الوظائف التي حددها بروب – إجمالًا – هي : " الابتعاد، والحظر، والتجاوز ، والاستخبار ، والخديعة ، والتواطؤ ، والحاجة ، ولحظة التحول ، والفعل المعاكس، والرحيل، والمانح، ورد فعل البطل على فعل المانح ، والأداة السحرية ، وانتقال البطل ، والمعركة ، ووسم البطل بعلامة مميزة ، والانتصار ، وإصلاح الإساءة أو سد الحاجة ، والعودة ، والمطاردة ، والنجدة ، والوصول ، والمزاعم الباطلة ، وتكليف البطل بمهمة صعبة عند إقدامه على الرحيل ، وإنجاز المهمة ، والتعرف على البطل ، وافتضاح الشرير بطلًا كان أو معتديًا ، والتجلي ، والعقاب ، والزواج " [٤] .

وتوزع هذه الوظائف بين الشخصيات ، كما أن العديد من الوظائف يتم تجميعه منطقيا ضمن حقول عمل ، وتحتوي القصة – غالبا – على سبعة حقول " فحقل عمل الشرير يحتوي

(١) فلاديمير بروب : ناقد روسي اهتم بدراسة وظائف الشخصيات في الحكايات والقصص الشعبية الروسية ، وذلك في كتابه المهم (مورفولوجيا القصة) الذي نشره في سنة ١٩٢٨م ، ومن دراسات بروب المهمة : الأصول التاريخية للحكاية العجيبة سنة ١٩٤٦م . ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، د. نعمان بوقرة ، ص ١٦٩ .

(٢) مورفولوجيا القصة ، فلاديمير بورب، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، ص ٣٨ ، شراع للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

(٣) نظرية الرواية " دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة " ، د. سيد إبراهيم ، ص ١٧ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(٤) ينظر : شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، ص ١٦ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

الإساءة والمعركة وأنواع الصراع الأخرى ضد البطل ومطاردته ، وحقل المانح يحتوي على الأداة السحرية ووضعها تحت تصرف البطل ، وحقل عمل المساعد يحتوي على نقل البطل وسد حاجته ونجدته وتجليه ، وحقل عمل الشخصية الإيجابية يكون في القيام بمهمات صعبة والتعرف على البطل الحقيقي ومعاقبة البطل المزيف ، والزواج . وحقل الطالب يكون في الانتقال ، وحقل المزيف في دوره السلبي ضد البطل ورحيل المزيف ، وحقل عمل البطل يحتوي الرحيل من أجل البحث ورد الفعل على مطالب المانح والزواج " [١] .

أهمية الدراسة:

أفاد غريماس [٢] من أبحاث بروب وغيره في دراسة وظائف الشخصية القصصية ، فالشخصية من وجهة النظر الألسنية لا تحدد بميولها النفسية أو خصالها الخلقية ، وإنما بموقفها داخل القصة أو بعملها ودورها فيها " وبهذا يمكن النظر إلى الشخصية من خلال عدها وظيفة نحوية ، فتحديد الشخص بالفعل الذي يقوم به إنما ينبع من مفهوم نحوي ، فلا فعل من غير فاعل يقوم به ، وهو نفسه الفاعل الفني أي الشخصية على مستوى القصة ؛ لأن القصة هي مجموعة أفعال تقوم بها مجموعة من الشخصيات . والعوامل التي ذكرها غريماس في أنموذجه ستة عوامل رئيسة وهي : العامل الذات ، والعامل الموضوع ، والعامل المرسل، والعامل المرسل إليه ، والعامل المساعد ، والعامل المعاكس " [٣] .

أهداف الدراسة:

فغريماس أسس دراسته للوظائف اعتمادًا على بحوث من سبقه من النقاد الغربيين ، كما سعى إلى إقامة علم دلالة بنائي حكائي ، ووضع في هذا الإطار نموذجًا للتحليل يقوم على ستة عوامل تختزل في ثلاث علاقات : علاقة الرغبة وهي تربط بين الذات والموضوع ، وعلاقة التواصل التي تربط بين المرسل والمرسل إليه ، وعلاقة الصراع التي تربط بين المساعد والمعارض . ويعرف هذا الأنموذج الذي أسس له غريماس بالأنموذج العاملي[٤] القائم على سلسلة العلاقات المنتظمة داخل النموذج ، وهي علاقات قابلة لتوليد توتر داخل النص القصصي . وعند تأمل البنية العميقة للشخصيات القصصية في مستوى الوظائف تبدو تلك

---

(١) ينظر : مورفولوجيا القصة ، فلاديمير بورب ، ص ٩٨ .

(٢) غريماس : لساني وناقد فرنسي ، نال درجة الدكتوراه من جامعة السوربون سنة ١٩٤٩م في الأدب ، عمل أستاذا في جامعات الإسكندرية وأنقرة وإسطنبول ، وهو زعيم مدرسة باريس السيميائية ، من مؤلفاته : السيميولوجيا البنيوية ، وفي المعنى تجارب سيميائية ، للمزيد ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، د. نعمان بوقرة ، ص ١٧٠ .

(٣) ينظر : شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، ص ١٦ – ١٧ .

(٤) الأنموذج العاملي : هو بنية العلاقات القائمة بين الشخصيات الروائية ، ووفقا لغريماس فإن دلالة السرد تدرك ككل من خلال هذه البنية . وهذا الأنموذج في الأساس يضم ستة عوامل هي الذات المتطلعة إلى تحقيق هدف تسعى إليه ، والموضوع المستهدف من الذات ، والمرسل للذات وهو مطلبها للهدف ، والمتلقي للهدف الذي تسعى الذات إلى امتلاكه ، والمعين أي المساعد للذات ، والخصم أي المعيق للذات عن تحقيق أهدافها . ينظر : المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عابد خزندار ، ص ١٨ .

العوامل ذات طبقة تتصف بالتحول والتغير كقيمة أساس تتجلى فيها الوظائف ، وهذا يحقق نوعا من التوافق بين التقنيات السردية وطرائقها المختلفة في الرواية الجديدة والمعاصرة . والوظائف العاملية تنتظم في هذا الأنموذج وفق ثنائيات عاملة ، تجسد في نهاية الرواية الأنموذج العاملي ، وهذه الثنائيات هي : الذات والموضوع : الرغبة ، والمرسل والمرسل إليه: الاتصال ، والمساعد والمعارض : الانفصال .

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاسلوبي (الكيفي) الذي يقف عند الظاهرة الادبية ويحللها تحليلا اسلوبيًا فاصلًا ; بحثًا عن الدلالة بابداعاتها المتنوعة.

الموضوع:

أولا : الذات والموضوع (محور الرغبة).

محور الرغبة هو المحور الأول في الأنموذج العاملي للشخصية ، وهو متعلق بالذات الفاعلة والموضوع " فالذات الفاعلة هي الشخصية المحورية التي تعطي الحركة في القصة، وهذه الحركة تكون وليدة رغبة أو احتياج أو خوف . والموضوع يمثل الهدف المقصود أو المرغوب فيه، أو مصدر الخوف والانزعاج، ويكون الموضوع ماديًا مثل إعادة شيء مفقود أو شخص غائب ، أو معنويًا عندما يمثل قيمة من القيم مثل تحقيق الذات وتقدير الآخر لها . والذات في علاقة الرغبة إما أن تكون في حال اتصال أو انفصال عن الموضوع؛ فإن كانت في حال انفصال عن الموضوع فإنها تسعى إلى الاتصال به وتحقيقه ، وإن كانت الذات في حال اتصال بالموضوع فإنها تسعى إلى الانفصال عنه ، فعلاقة الرغبة بين الذات والموضوع تمر عبر ملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال أو الانفصال ، كما تمر بعد ذلك عبر ملفوظ الإنجاز الذي يجسد تحولًا اتصاليًا أو انفصاليًا " [1] .

في قصة حرث الأحلام يبرز بطل القصة سيد راغبا في الارتباط بمبروكة ابنة المؤذن ، وانطلاقا من هذه الرغبة في الاتصال عمد البرنامج السردي إلى الكشف عن سعي سيد إلى جذب انتباه مبروكة وقلبها إليه ، ابتداء من متابعة سيد لها ولتحركها في النص الروائي « ظل يراقبها ، عينه عليها ، يناديه خطوها ، وعطرها النافذ .. راقبها في طريقها إلى السوق ، وأمام الباعة ، وهي تنشر الغسيل وتغسل الأطباق ، وتحادث القابلة على شاطئ النهر الصغير ، يتابعها في الذهاب أو العودة ، يكمن في المنحنى حتى إذا مرت رأته صاعدا فترتج حياءًا ..

(١) ينظر : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، د. حميد لحمداني ، ص ٣٤ – ٣٥ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م .

يمضي إلى أطراف الحديقة ويتسلل في دهاء ، كانت تشعر بأنفاسه تفوح بالأرجاء كالعطر : ترتعش أطرافها ، وتروح في تهويمات متوالية ، وتدرك أن رائحة الرجل تطوف بالمكان ، تملأه ذكورة وتدعوها إلى المجيء .. تنده لها ، تلتمس الأعذار للذهاب ، وتمضي كالمغيبة ، والعقل يتخيل الأمكنة ويرسم الصورة له .. بحجم خيالها العريض . تجده جالسًا تحت جذع الشجرة أمامه النخيل الأخضر والأعشاب الخضراء يرتدي القميص الزهري المشجر ، والبنطلون الجينز الكحلي الباهت ، فهو يحرص على حسن الهندام مع أن عمله في المعمار لا يسعفه كثيرًا في انتقاء الزي المناسب » [1] .

ثم تحول فعل المراقبة إلى تصريح مباشر بحب سيد لمبروكة « كاد قلبها يطير وهو يحيط كفها بيده. خرج صوتا مغموسا بماء الفرح فانتشت. همس في صوت خفيض منغم . سأخطفك خطفا ولا حصون الدنيا تمنعك عني .

وجلت غبطة واندهشت وصكت صدرها : تخطفني يا سيد ؟

– على متن جواد أبيض . وراحا يلملمان حبهما ، ويواريانه خوفًا من العين ولسان السوء»[2].

ثم تصاعدت الرغبة في ارتباط سيد بمبروكة ، فذهب سيد إلى والدها ، وصارحه برغبته في الزواج من ابنته « أخبر الشيخ برغبته في الزواج من ابنته ، تأمله الرجل طويلًا ، فرد الحصير ثم ارتدى ثوبه وأغلق باب الجامع وسحب نفسه عائدًا . لم يتوقع الأمر ونزل المطلب عليه داهما لم يترك الولد فرصة للجدل . أطلق رغبته كالرصاصة المدوية .. يا حاج لي الشرف أن أتزوج كريمتك على سنة الله ورسوله وسأضعها في عيني ، وأجعل قلبي لها سكنًا ... في المساء وهي تجلس على حافة الكنبة نظر إليها في تأن فضح قلقه ، وأدهشه السكينة التي تملأها ، ونظرة الغياب في عينيها ، وقال في صوت بارد : سيد طلب يدك اليوم . رمقها بركن عينه اليمنى فلمحها تجاهد البهجة حتى لا تسيل حولها . احتد وأدرك أن الأمر مرتب بينهما » [3] .

وبعد تفكير من الوالد الحنون الذي شعر برغبة ابنته في الارتباط بسيد ، وافق على زواجهما ؛ لتصل الرغبة إلى نهايتها بزواج سيد من مبروكة ، وحدوث الاتصال بينهما ، بعد أن كانت العلاقة منفصلة بينهما قبل الزواج . وفي ضوء ما تقدم ذكره من نماذج في علاقة الرغبة بين

(١) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ٤٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨ – ٤٩ .

الذات والموضوع في قصة حرث الأحلام تكون الذات الفاعلة سيد قد سعت إلى الموضوع الذي يعد الغاية والهدف الذي تسعى هذه الذات إلى تحقيقه ، وهو الارتباط بمبروكة . وبعد ارتباط سيد بمبروكة عاشا سويا حياة قانعة تقوم على الكفاف من الرزق الحلال ، ثم رزقا بطفل وحيد ، لكنهما لم يفلحا في إيجاد مسكن آدمي ومناسب خارج مساكن الإيواء .

ثانيا : المرسل والمرسل إليه (محور التواصل) .

محور التواصل هو المحور الثاني في الأنموذج العاملي " ويكون المرسل دافعًا ومحفزا للذات إلى تحقيق الهدف ، أو يجعلها راغبة في موضوعٍ ما ، ويكون المرسل إليه مقرًا للذات بالإنجاز الذي قامت بتحقيقه. ولمعرفة علاقة التواصل داخل السرد أو الحكي يرى أحد النقاد أن كل رغبة من لدن ذات الحالة – الفاعل – لابد أن يكون وراءها محرك أو دافع ، وهذا الدافع هو المرسل . ويكون تحقيق الرغبة موجها إلى عامل آخر وهو المرسل إليه ؛ فعلاقة التواصل بين المرسل والمرسل إليه تمر عبر علاقة الرغبة أي علاقة الذات بالموضوع " [١].

ويرى صلاح فضل [٢] أن محور التواصل يقوم بين المرسل والمرسل إليه ، ويتبادلًا عبره المعلومات « محور التواصل الذي يقوم بين المرسل والمرسل إليه ، وهو الذي يتبادلًا عبره بيانات أو معلومات . فالمرسل يحيط المرسل إليه علما بشيء ما . ومثل هذا النموذج الأول يسمح لنا أن نرى بعدا تواصليًا في كل أنواع الخطاب ، على اعتبار أن أية ممارسة قولية تنقل معلومات . لكن عند إجراء هذا التبادل فإن المشتركين في التواصل ، أي المرسل والمرسل إليه يعقدون اتفاقًا حول قيمة التي يتبادلونها . ويطلق جريماس على هذا الاتفاق : العقد الأولى ، وهو يفترض في التحول السردي عملية معرفية يتم عقبها اقتراح وقبول قيمة ما » [٣] .

ومن التواصل الذي يقوم فيه المرسل بتوجيه رسالة إلى المرسل إليه : تواصل أنيس مع رأفت : « أنت تحتج على مظاهر عدم المساواة والتنافس والصراع والقوة بخلق عالمك الداخلي الخاص الذي هو من صنعك ، والذي يبدو خياليا مفككًا غير مترابط التفكير .. أنت تريد أن تبلغنا رسالة ، ولكن البلاغ يأتي في صورة مشوهة ، تفتقد عمليات التفكير السوية . أنت إذن

(١) ينظر : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، د. حميد لحمداني ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) صلاح فضل : ناقد وأستاذ جامعي مصري ، ولد في سنة ١٩٣٨م في شباس الشهداء بوسط الدلتا المصرية ، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة مدريد ا في سنة ١٩٧١م ، عمل في جامعات الأزهر والقاهرة وعين شمس ، كما عمل أستاذا زائرا في جامعات إسبانيا والمكسيك والبحرين وصنعاء . شارك في تأسيس مجلة فصول للنقد الأدبي وعمل نائبا لرئيس تحريرها ، ومن مؤلفاته النقدية المهمة : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ومنهج الواقعية في الإبداع الأدبي . للمزيد تنظر ترجمة صلاح فضل في كتاب : بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، ص ٣١٧ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٦٤ ، أغسطس ١٩٩٢م .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، ص ٢٩٢ .

تسمع صوت نفسك ولا يسمعك أحد . أنت صاحب رسالة ينقصك التعبير عنها بطريقة يفهمها الآخرون » [1] .

فالرسالة الموجهة من أنيس إلى المرسل إليه رأفت ، تهدف إلى مصارحة رأفت بمرضه النفسي . كما حاول أنيس مساعدة رأفت على الخروج من مرضه النفسي ، ومساعدته على الاندماج مع أفراد المجتمع . وتؤكد رسالة أنيس على سلوك رأفت وسلوكه غير المنسجم مع المحيطين به ، وهذا السلوك هو في الأصل انحراف مرضي للشخصية الفصامية ، ويكون دور أنيس هو مصارحة رأفت بانحرافه السلوكي ليقوم رأفت بتعديله وانسجامه مع المحيطين به .

وتقوم عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه على التحريك ، وهو نشاط يمارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان ؛ بهدف الدفع به إلى القيام بإنجاز ما " ومن خلال موقع التحريك بين إرادة المرسل والإنجاز الفعلي لبرنامج سردي ما من طرف المرسل إليه ، فإنه يستند أساسًا إلى الإقناع ويتبلور هذا الإقناع في فعل إقناعي يعود إلى المرسل ، وفعل تأويلي يعود إلى المرسل إليه " [2] .

ومن سعي المرسل إلى تحريك المرسل إليه : حض الخضراوي لسيد بطل قصة حرث الأحلام ، على سرقة محل النمس بك المعروف بجشعه وفساده « حين لمحه الخضراوي يسير بمحاذاة المصرف العطن ، أدرك أنه مهموم وعاطل ، ناداه واحتضنه . أخذه تحت إبطه وخاضًا دربًا ملتويًا .. بدا النبات يعافر ويستدعي نموه والدجاجات فوق تلال القمامة ، على حين راحت الماعز تقفز وتتناطح .

– باختصار أمامي فرصة لن تتكرر . يعلم من هو الخضراوي .. ويتعجب كيف تغفل عنه الشرطة ! ولزم الصمت .

– محل قطع الغيار على ناصية المصرف من الشمال . رنًا إليه ولم ينطق .. لم يقاوم وهو يتداخل تحت ذراع الرجل .

– مطلوب منك عمل فتحة في الجدار الخلفي أو في صبة السقف.. تلك مهنتك فلا تخذلني . لم يخدعه الحنان الزائف فنطق في تساؤل :

– محل من !

---

(1) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ١٤٤ .

(2) ينظر : السميائيات السردية (مدخل نظري)، د. سعيد بنكراد ، ص ٩١ ، سلسلة كتاب الجيب، العدد ٢٩ ، جريدة الزمن ، الرباط ، المغرب ، ٢٠٠١م .

قذفها بسرعة وانتظر الجواب :

– النمس .

خلع نفسه ورمقه في تأن ، وهو يربت على صدره :

– اعتبرني ما سمعت .. ليست السرقة مهنتي .

– أنت تعلم أنه جمعها من السرقة والنصب .. ابتسم واستدار عائدا » [1] .

فالتواصل هنا قام بين الخضراوي وسيد ، وعملية التواصل في المقطع الحواري الأسبق أخذت صورة من الإقناع الكاذب من المرسل إلى المرسل إليه ، إذ سعى الخضراوي إلى إقناع سيد بعمل فتحة في الجدار الخلفي لمحل النمس بك ؛ ليقوم الخضراوي بسرقة المحل . وإقناع الخضراوي لسيد قام على تبرير سرقة النمس بوصفها سرقة مباحة ، فأموال النمس بك مجموعة من السرقة والنصب على الناس ، ومن ثم تكون سرقتها – وفق رؤية الخضراوي – حلال وغير محرمة ، ولكن سيدا لم يقتنع بذلك وانصرف من أمام الخضراوي . ويلحظ المتلقي استغلال الخضراوي لفاقة سيد وبطالته عن العمل من أجل حضه على سرقة محل النمس بك ، ولكن رسالة الخضراوي فشلت في الوصول إلى سيد ؛ فهو إنسان على دين ولا يقبل الحرام .

كما تأخذ علاقة التواصل بين المرسل والمرسل إليه بعدا إجباريًا ، يقوم على إرغام المرسل وإجباره للمرسل إليه على قبول أمرٍ ما وتنفيذه قسرا . « ذهبت إلى العطار وطلبت مه رجلة وعرق حلاوة ، سألني العطار :

– علشان إيه الحاجات دي ؟

– أمسح بيها الشقة علشان يفك النكد.. زوجي لم تعد له رغبة فيّ ..

– زوجك معمول له عمل .

– عمل .. أعمل إيه يا حاج وإزاي أفك العمل ؟

– حاجة بسيطة .. هات مائة جنيه علشان اشتري بيها طلبات الأسياد .. وتعالي بعد يومين أكون جهزت لك كل حاجة .. ذهبت بعد يومين للعطار .

– سلام عليكم يا حاج ..

مد يده أمسك يدي ..

– تحبي اشوف لك الكف ؟

---

(1) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ٥٥ .

– لا .. لا .. أهم شيء زوجي .. فكيت له العمل ؟

وبعد أيام كانت الحالة تزداد سوءا يوما بعد يوم ، والنفور يزداد بيننا .. لم أخبر أحدًا ، وكتمت أسراري في صدري ، سألتني حماتي عن النتيجة ، قلت :

– إحنا بقينا كويسين » [1] .

يعكس المقطع الحواري الأسبق علاقة التواصل بين المرسل العطار والمرسل إليه عائشة ، والأسلوب الإقناعي في الرسالة أخذ بعدا كاذبا من طرف العطار الذي أوهم عائشة بمعرفته لعلاج زوجها ، وكانت الغاية من وراء ذلك هي سلب مال عائشة. ولما تبين لعائشة كذب العطار وخداعه لها كتمت ذلك في نفسها ولم تسترد مالها منه ، بل كذبت عائشة على العطار ، وقالت إن حال زوجها تحسنت بفضل حجاب العطار .

ثالثا : المساعد والمعارض (محور الصراع) .

محور الصراع هو المحور الثالث من محاور الأنموذج العاملي لغريماس ، ودور المساعد في علاقة الصراع هو مد المساعدة إلى الذات من خلال العمل في اتجاه الرغبة أو تسهيل التواصل " كما أن دور المعيق أو المعارض يتجسد في خلق عراقيل تمنع الذات من الرغبة أو تقطع التواصل مع الموضوع . وفي الصراع الاجتماعي توجد صور للمساعد وصور للمعارض ؛ فالمساعد يقف إلى جانب الذات ، والمعارض يعمل دائمًا على عرقلة جهود الذات الساعية إلى الحصول على الموضوع " [2] .

فالذات عند سعيها إلى تحقيق رغبة ما أو التواصل مع ذات أخرى قد تصطدم بمعوقات تحتاج إلى التغلب عليها ، ويكون ذلك من خلال مساعدة تقدم إلى الذات من طرف المعين . ودور المساعد هو القيام بمعاونة الذات على تحقيق الموضوع ، ودور المعارض هو الحيلولة دون تحقيق الرغبة ، وهو دور أساس في السرد لأنه « يشكل صورة أكثر تعقيدًا ما دام يعين في الوقت نفسه ما يسمى بالذات المضادة » [3] .

ومن نماذج المساعد الذي يمد يد العون إلى الشخصية الرئيسة في القصة : العم عبده في قصة حرث الأحلام ، فهو من قدم المساعدة إلى سيد ، وتعهده بالتربية من صباه إلى شبابه « على شاطئ المصرف كان يزرع عقل البطاطا ويعلم الصغير كيف ينيم العقلة على جانبها ، ثم يسقيها وينتظر كي تتفرع وتملأ البقع الفارغة . وفى صباح السوق يملأ الجوال ويضعه على

---

(1) المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٢) ينظر : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبى) ، د. حميد لحمداني ، ص ٣٦ .

(3) السميائيات السردية (مدخل نظري) ، د. سعيد بنكراد ، ص ٨٥ – ٨٦ .

حمار اشتراه ويرفع الغلام ويريحه على الحمل المتوازن ويمضي به إلى السوق . ويتأمل العجوز ظهر الغلام يشق الفضاء كفارس جاء من عالم الغيب وزمن الأحجيات والخيام ، فيمشي العجوز ناصبا ظهره ويختال وراء الغلام » [١] . فمساعدة العم عبده لسيد تمثلت في تعهد عبده لأبي الهوى بعد موت أبيه المغربي ، وتعليمه الزراعة والبيع في الأسواق ، وسير العجوز في خيلاء وراء الشاب الصغير يكشف عن سعادة الشخصية لمساعدتها لليتيم .

ومن نماذج الصراع بين المعارض والذات في قصة الفراشة : حديث شيماء عن بغضها للحياة مع مدحت ، تقول ضحى : « موقفي من مدحت هو رد فعل لما أصبحت أشعر به ليس تجاه مدحت فهو غير مهم بالنسبة لي ، وإنما تجاه حياتي كلها ، لم تكن لي حياة على الأطلاق . الآن لأول مرة أشعر بالحياة .. أشعر بأن لي كيانا .. أشعر بالناس من حولي . أشعر بأن لي هوية وبأنني أنتمي إلى شعب وبلد ، أنا أعي تماما ما أفعله . لقد اخترت طريقي بإرادتي الحرة .. أنا أعرف أن الطريق سيكون وعرا ومليئًا بالعقبات لكن عليّ أن أمضي فيه إلى نهايته ، فالعودة تعني التنازل عن الحياة التي بدأت أتعرف إليها لأول مرة . العودة هي انتحار وأنا لا أريد الانتحار . أريد الحياة التي بدأت تتفتح أمامي » [٢] .

فحديث ضحى الكناني يفصح عن سلبية علاقتها بزوجها مدحت الصفتي الرجل المهم في الحزب الحاكم ، كما أن مدحت أسهم في حرمان ضحى من شعورها بذاتها وكيانها ، ومن ثم يكون مدحت معيقا للذات عن تحقيق كيانها . فقيمة الموضوع وهو تحقيق الذات بالنسبة لضحى حجبت بسبب مدحت ، ولم تجد الذات ضحى إلا الانفصال عنه ، فالتواصل معه بات انتحارا على حد تعبير ضحى في المقطع الأسبق .

ومن نماذج الصراع بين المعارض والذات في القصة نفسها : تعذيب رجال أمن الدولة لناجي في السجن « تفنن الشياطين المرتدون ثياب البشر في تعذيب ناجي في المعتقل ونقلوه بين سجون عديدة من بينها سجن العقرب ، ربما ليضللوا أهله أو يمسحوا بهم تراب الطرقات ويبللوا بعرق قلوبهم كل وسائل المواصلات . الأهل يواصلون بلا يأس البحث والتنقيب عن حبات القلوب لعلهم يستدلون بنور عيونهم وهتافات أرواحهم ودموع دعائهم إلى الله على مصائر الأحباب المظلمة » [٣] .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ٦٩ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ١١٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

فالمعارض مارس تعذيبًا وعنفًا جسديًا ضد الذات المقهورة لمنعها من حقها في حياة كريمة ، فهم شياطين وقوة مناوئة للذات ، وهذه القوة الغاشمة حرمت الذات من الحرية والكرامة الإنسانية من خلال سجن الذات وقهرها وتعذيبها في سجن العقرب . وفي ضوء ما تقدم من نماذج سردية في علاقة الصراع بين الذات والمعارض تتضح عرقلة المعارض للذات عن تحقيق رغباتها النفسية والاجتماعية ، كما أبانت محاور الرغبة والتواصل والصراع عن تفاعل الشخصيات في المتون القصصية السابقة .

ومن صراع المعارض ضد الذات ، في قصة مراسيل : هذا الحوار الذي دار بين أبي النجا ونجوى . « ووجدتها تحدثني بمرارة ولهجة فلسفية وهي تمسح دمعة فرت من عينيها :

– لا تحسب أنك الوحيد بالقلم الرصاص يا أبا النجا ..

ثم أجهشت بالبكاء فأدركت أن هناك أمرا خطيرا :

– نجوى .. ماذا دهاك ؟

سكتت قليلا قبل أن تقول :

– لقد تشاجرت مع أبي وتركت له البيت ..

– وأين تعيشين ؟

– ليست هذه مشكلة على الإطلاق ، فقد فعلتها من قبل .. أقيم مع صديقة لي في فيلا بالمقطم..

– وأمك .. ألا تقولين أن لها تأثيرا على والدك ؟

– يبدو أن تأثيرها خبا مع الزمن وبدأت تفقد صلاحيتها .. فانضمت إليه وأيدت موقفه ..

– مشكلتك يا نجوى أنه لا توجد لديك مشكلة على الإطلاق .. فرحت تصنعين مشكلة بنفسك باستعارتك ثقافة ليست ثقافتك .. وصنعت منها سلاحا تواجهين به من حولك ..

– أنت تتحدث بنفس طريقة السيد تيسير تهامي تمراز كثيرا ما يقول لي كلاما لا أعيه وينعتني بصفات غريبة عليّ وبلهجة لا أفهمها .. حتى صارت لدينا أزمة لغوية تهدد بحرب أهلية داخل البيت » [1] .

فهذا المشهد الحوار يكشف عن معاناة الشخصيتين من القهر النفسي ؛ فنجوى تعاني من تدخل والدها في شؤونها الخاصة ، رغم نزعتها إلى الاستقلال عن شخصية أبيها . أما بونجا فهو يعاني من فقد الذات والاغتراب النفسي ، وكان يسعى إلى تحقيق ذاته وإثبات وجوده ، لكن

---

(1) الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ١٥ .

الظروف المحيطة به حالت بينه وبين تحقيق كيانه . وفي الجملة الأخيرة من الحوار أفصحت نجوى عن انقطاع التواصل بينها وبين والدها الذي صار يتحدث معها بلهجة لا تفهمها ، وكان ذلك بداية انهيار كبير في علاقة الابنة بوالدها ، وهذا الانهيار شبهته نجوى بحرب أهلية . وهذا الحوار جاء في لغة فصحى ميسرة ولم يأت بلغة الحياة اليومية ، وفي هذا الحوار خطأ لغوي : « أنت تتحدث بنفس طريقة السيد تيسير تهامي » . والأصل : بطريقة السيد نفسها .

الخاتمة وأبرز النتائج:

إن وظائف الحوار تجلت من خلال محور الرغبة ، ومحور التواصل ، ومحور الصراع . ففي محور الصراع بين الذات والمعارض تتضح عرقلة المعارض للذات عن تحقيق رغباتها النفسية والاجتماعية والسياسية ، كما أبانت محاور الرغبة والتواصل والصراع عن تفاعل الشخصيات في المتون الروائية المذكورة . وفي محور التواصل عكست رغبة المرسل في تحفيز المرسل إليه وترغيبه في أمر ما ، ومرت علاقة التواصل بين المرسل والمرسل إليه عبر علاقة الذات بالموضوع .

كما أخذت علاقة التواصل بين المرسل والمرسل إليه بعدا إجباريا في بعض النماذج ، وفي نماذج أخرى قامت عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه على التحريك وهو نشاط إنسان تجاه آخر؛ بهدف الدفع به إلى القيام بإنجاز ما ، وذلك من خلال من الإقناع الكاذب من المرسل إلى المرسل إليه ، ويكون المرسل في مركز أعلى فوق المرسل إليه الذي يبدو تابعا في عملية التواصل .

وفي محور الرغبة تعلقت الذات بالموضوع ؛ فالذات هي الشخصية المحورية التي تعطي الحركة في القصة ، وهذه الحركة تكون وليدة رغبة أو خوف . والموضوع يمثل الهدف المقصود أو المرغوب فيه ، أو مصدر الخوف والانزعاج ، ويكون الموضوع ماديا مثل إعادة شيء مفقود ، كما أنه يكون معنويا عندما يمثل قيمة من القيم مثل تحقيق الذات وتقدير الآخر لها . والذات الروائية في علاقة الرغبة إما أن تكون في حال اتصال أو انفصال عن الموضوع ؛ فإن كانت في حال انفصال عن الموضوع فإنها تسعى إلى الاتصال به وتحقيقه ، وإن كانت الذات في حال اتصال بالموضوع فإنها تسعى إلى الانفصال عنه .

كما أن الشخصية القصصية لا تكتمل ملامح صورتها في ذهن المتلقي إلا مع نهاية أحداث القصة ، أي بعد اكتمال الأدوار التي تؤديها الشخصية في المتن . كما أن تحديد الوظائف في العمل السردي له أهميته ؛ فالوظائف هي التي تحدد العلاقات المتشابكة بين الشخصيات وما تقوم به من أحداث تدفع إلى تطور الحبكة ؛ فالشخصية تتحدد من خلال العلاقات التي تنسجها مع شخصيات أخرى .

المراجع:

١. الأعمال الكاملة ، ج٢ ، ص ٥٥ .

٢. بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل

٣. بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، د. حميد لحمداني ، ص ٣٤ – ٣٥ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م

٤. السميائيات السردية (مدخل نظري)، د. سعيد بنكراد ، ص ٩١ ،سلسلة كتاب الجيب، العدد٢٩ ، جريدة الزمن ، الرباط ، المغرب ، ٢٠٠١م .

٥. شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، ص ١٦ ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٦. فلاديمير بروب : ناقد روسي اهتم بدراسة وظائف الشخصيات في الحكايات والقصص الشعبية الروسية ، وذلك في كتابه المهم (مورفولوجيا القصة) الذي نشره في سنة ١٩٢٨م ، ومن دراسات بروب المهمة : الأصول التاريخية للحكاية العجيبة سنة ١٩٤٦م . ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، د. نعمان بوقرة

٧. مورفولوجيا القصة ، فلاديمير بورب، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، ص ٣٨ ، شراع للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٨. نظرية الرواية " دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة " ، د. سيد إبراهيم ، ص ١٧ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م